تمهيد :

إن الطفل يمثل المادة الخام و يرتقي بارتقاء الأسرة إذ أن التنشئة الأسرية التي يحتاج إليها الطفل يرتفع فيها أمينا إذ الأسرة لها دور دون أن يدل في التنشئة و عند غياب الأسرة (الوالدين) أو احدهما للطفل فإنما يلقي به في الشارع و أما يسلك سلوكات منحرفة كالعنف و العدوان حيث أضحى اليتيم احد عوامل التهميش و إهمال و التشرد.

و في هذا الفصل سوف نتناول تعريف اليتيم ، تربية اليتيم نفسيا ، معاملة اليتيم من الناحية المادية ، رعاية اليتيم في الإسلام ، فضل رعاية اليتيم من السنة ، أهمية دور الأم في حياة الطفل ، اثر حرمان من الأم على الطفل ، العوامل المؤثرة في الحرمان من الأم و استجابة الطفل لها ، و في الأخير الوقاية من حرمان الأم .

1- تعريف اليتيم :

معنى اليتيم لغة و شرعا :

اليتيم : الانفراد ، و اليتيم الفرد ، و كل شيء يعز نظيره فهو يتيم و منه درة يتيمة إي لا نظير لها و اليتيم في الناس من قبل الأب و يقال لمن فقد والدية لطيم و الجمع أيتام و اليتامى و ميتمة

اليتيم شرعا :

هو من فقد أباه دون البلوغ " لما روي عن الرسول الله صلى الله عليه و سلم ، انه قال :" لا يتيم بعد الاحتلام و يقال لمن بلغ يتيما على سبيل الاستصحاب لأصله ".

(نبوية لطفي محمد عبد الله ، 2000)

الطفل اليتيم: هو الطفل الذي لا يبلغ السن البلوغ و فقد أبواه.

2- تربية اليتيم نفسيا :

و للقران الكريم عناية باليتيم و عجزه عن القيام بما صالحه التي تحفظه له حسن الحياة في المستقبل و تقي الأمة شر الفرد الذي يحيط بها من عدم تربيته لفقده الأب الذي يكفله و يهذبه و يرعاه .

و قد ظهرت هذه العناية في القران الكريم منذ الفترة الأولى حين بدا الوحي إلى فترة الأخيرة حين قارب الوحي التمام و الكمال ظهرت في مكة القران حينما عاد الوحي إلى الرسول فجاءه الوحي مؤكدا له دعاية الله إياه و أن ما ودعه ما خلاه و اخذ يثبت ذلك في نفسه و يذكر بعناية الله قيل و هو يتيم الاحوج ما يكون إلى العطف و الإيواء " الم يجدك يتيما فأوى" و بذلك اشعر قلبه من أول الأمر بان اليتيم الذي ذاق مرارته ينبغي أن يكون باعثا على العطف على اليتيم و النظر إليه بعين الرحمة و العمل على إيوائه و تكريمه . **(نبوية لطفي محمد عبد الله ، 2000)**

3- معاملة اليتيم من الناحية المادية :

و كما أمر القران الكريم باهتمام بالشخص اليتيم أمر باهتمام به أيضا على ماله حتى يصل إلى سن البلوغ يقول سبحانه و تعالى:" و أبتلو اليتامى حتى إذ بلغوا النكاح فان استم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم و لا تأكلوها إسرافا و بدرا أن يكبرو و من كان غنيا فليستعفف و من كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم و كفى بالله حسيبا ".

4- رعاية الإسلام لليتيم :

حرص الإسلام على العناية بالأيتام و رعايتهم و الإحسان إليهم و القيام بتربيتهم و محافظة على أموالهم و تطهر تلك العناية فيما ورد من نصوص في كتاب الله و سنة رسول الله الكريم (محمد صلى الله عليه و سلم) و لقد كانت عناية الله عز و جل باليتامى في القران الكريم واضحة إذ جعل الأمر بالإحسان إليهم و الحنو عليهم بعد الأمر بالوحيدة قال تعالى:" و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا و بالوالدين إحسانا و بذي القربى و اليتامى و المساكين و الجار ذي القربى و الجار الجنب و الصاحب بالجنب و ابن السبيل و ما ملكت إيمانكم أن الله لا يحب من كان مختالا فخورا {36} " .سورة النساء {36}

كما تظهر عناية الله سبحانه و تعالى بالأيتام من خلال أمر نبيه محمد (ص) بإيواء اليتيم و إكرامه و عدم قهره في قوله تعالى :" فأما اليتيم فلا تقهر" سورة الضحى أية {09}.

و قد روى عن أبي هريرة رضي اله عنه قال :" قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (خير بين في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اله و شر بيت في المسلمين بين فيه يتيم يساء إليه ، أنا كافل اليتيم في الجنة كهاتين و يشير بإصبعه إلى السبابة و الوسطى).

5- فضل رعاية اليتيم من السنة :

لقد بشر النبي (صلى الله عليه و سلم) القائم على أمر اليتامى و المتعهد بكفالتهم و حسن تربيتهم بالجنة كما ورد في الأحاديث التالية " . **(نبوية لطفي محمد عبد الله ، 2000)**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :" قال رسول الله صلى اله عليه و سلم :" كافل اليتيم له أو لغيره إنا و هو كهاتين في الجنة" و أشار مالك (بالسبابة و الوسطى) قال بعد العلماء أول الحكمة في كون كافل اليتيم تشبه منزلته في الجنة من منزلة النبي (صلى الله عليه و سلم) لان النبي شانه انه بعث إلى قوم لا يعقلون امرأ لدينهم فيكون كافلا لهم و معلما و مرشدا كذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه و لا دنياه فيرشده و يعلمه و يحسن تربيته **(إيمان محمود قماح ، 1983 ، ص 21).**

6-مفهوم الحرمان من الأم Matermal Deprvation:

نجد أن مفهوم الحرمان من الأم قد اكتسب شهرة واسعة حيث تم اعتباره السبب الرئيسي للكثير من المشكلات المتنوعة التي يواجهها الأطفال مثل التأخر العقلي و الاكتئاب و المحنة النفسية الشديدة و انعدام المشاعر السيكوباتية .

تعريف ياور : Yaron (1964):

و يشير إلى انه من الأفضل أن نوضح مفهوم الحرمان من الأم تحديد بأنه الحالات التي ترتبط بفقدان شخص اكتسب معنى مميزا و ذو دلالة و أهمية لدى الطفل و هو يرى أن الحرمان من الرعاية الأمومية هو نقص في الإحساس اللمبي و المداعبة و الأنواع الأخرى من الإثارة العادية التي يحصل عليها الطفل من خلال صورة الأم و نقص الإحساس بالتفرد و نقص الإشباع لاحتياجات الطفل المتكررة .

(نبوية لطفي محمد عبد الله ، 2000 ، ص 30)

تعريف انثورت Answorth (1989):

و يشير انثورت أن اصطلاح الحرمان من الأم يستخدم في عدة حالات مختلفة قد توجد كل حالة منفردة أو قد تتعدد الحالات الثلاثة الأساسية التي كشف عنها البحوث هي :

أ- الحرمان الذي يحدث عند ما يعش الرضيع أو الطفل صغير في مؤسسة أو مستشفى حيث لا توجد بديلة للام و حيث يتلقى رعاية امومية غير كافية و يترتب

على ذلك نقص الفرص الملائمة للتفاعل مع صورة الأم أن حرمان من الأم هو قصور في التفاعل بين الطفل و صورة الأم. **(إيمان قماح: 1963، ص14)**

تعريف جون يولي : Joln Bowlby (1980):

و يشير إلى أن هناك أوضاعا مختلفة يحرم فيها لطفل من العلاقة بالأم و يطلق عليها الحرمان الأمومي هي :

أ- قد تكون الطفل محروما من أن يعيش في منزله إذا ما كانت أمه الحقيقية أو البديلة غير قادرة على منحه الرعاية التي يحتاجها الأطفال الصغار .

ب- كما يعتبر الطفل محروما إذا كان بعيدا عن رعاية أمه لأي سبب من الأسباب و بعد هذا الحرمان البسيط إذ وجد الطفل رعاية من شخص درج على الاتصال به و الثقة فيه و لكنه قد يكون ذا اثر خطير إذا ما كانت البديلة غريبة عنه حتى و لو كانت تحبه و يرى بولي Bowldy أن هناك ثلاث حالات متداخلة يعاني فيها الطفل من الحرمان من أمه و يمكن توضيحها فيما يلي:

6-1- الحرمان الجزئي: Partial deprivation

يقصد به التعايش مع الأم أو البديلة الدائمة لها و يشمل ذلك احد القريبات التي يكون موقعها من الطفل غير مرغوب فيه و يصحبه القلق و الحاجة الملحة إلى الحب و المشاعر القوية بالانتقام و ينتج عنها الشعور بالإثم و الاكتئاب و الطفل الصغير الذي لم يكتمل بعد نضجه العقلي و الانفعالي لا يستطيع أن يقاوم كل هذه الانفعالات و الدوافع و قد تؤدي طرق استجابته لكل هذه الاضطرابات في حياته الداخلية إلى أمراض عصبية و نقص في ثبات الخلق **(رواية الداسوقي : 1995، ص130)**.

6-2: الحرمان الكلي : Complet deprivation

و يقصد به فقدان الأم أو الأم البديلة بسبب موت أو مرض أو هجرة و عدم وجود احد الاقارب العاديين العناية به " فان تأثيره على نمو الخلق يكون اعمق و قد يعوق تماما قدرة الطفل على إقامة علاقات مع غير من الناس.

تعريف إيمان فوزي :1985

أن الحرمان من الأم يسبب الوفاة بأنه " النهاية الطبيعية للوجود الفيزيقي للإنسان و هي الحرمان الكامل و النهائي من الأم التي لا رجعة فيه و لا أمل بعده و معاودة الاتصال بالأم ، و لا تعني بالنسبة للأبناء فقد موضوع الحب و مصدر الإشباع فحسب و إنما لتشمل كل ما تعنيه الأمومة من عطاء و حب الطفل بإضافة إلى ما يضمنه وجودها من مشاعر الأمن و الثقة بالعالم الخارجي "**(إيمان فوزي :1985، ص8)**

رواية الدسوقي: 1995

" بأنه حرمان الأبناء من الأم إذا أقاموا بعيدا عنها و فقدوا رعايتها لهم نتيجة للطلاق أو انفصال أو موت أو مرض أو العجز أو الفقر . **(رواية الدسوقي : 1995، ص 135.)**

تعريف اجرائي : Metzrnal Deprivatiin

" هو فقد الطفل حنان الأم و عطفها و رعايتها له أما نتيجة للوفاة أو حرمان كلي "

7- أهمية دور الأم في حياة الطفل :

يتفق العلماء أن الأم هي أول وسيط للتنشئة الاجتماعية فهي أول ممثل للمجتمع يقابله الطفل عن طريق العناية و الرعاية التي تمد بها الطفل فهي تبدأ في نبيه العواطف و الرموز التي تعطي الطفل الطبيعة الإنسانية كما تمكنه من أن يصبح عضوا مشاركا بصورة ايجابية في المجتمع **(هدى قناوي : 1988، ص58)**

و مع اتفاق العلماء على أهمية الأسرة و أثرها العميق في تنشئة الطفل الاجتماعية فأنهم يحرمون على إظهار دور الأم على انه دور رئيسي في عملية تنشئة المبكرة و يؤكدون بشدة على مركزها الجوهري بالنسبة للطفل و بخاصة في السنوات الأولى من حياته .

و الأم لا تقدم الغذاء و الوقاية فقط بل تقدم معها ما هو أهم من عطف وحب و حنان و إذا كان إهمال الغذاء و الحماية كثيرا ما يؤدي بالطفل إلى المرض أو الهلاك في بعض الأحيان فان إهمال الطفل و حرمانه من العطف و الحنان و المحبة غالبا ما يهدد كيانه

بالخطر لان الحرمان العاطفي كالجوع لا يمكن للطفل أن يتغلب عليه و يتحمله دون أن يصيبه منه الضرر و خاصة في السنوات الأولى من عمر الطفل.

(نبوية لطفي محمد عبد الله ، 2000 ، ص 102)

الأم هي نقطة انطلاق الطفل و حجر الأساسي في تطور نموه النفسي و هي بالنسبة له المنبع الأول لكل ما قد يحس به من حاجة و الكافلة الأولى لكل رغباته و رغما أن سد احتياجاته يعني التخلص من التوتر إخراج الطاقة المتجمعة داخله فانه من الواضح انه يجب لنفس الصغير الراحة و الهدوء و الأمان. **(سهير كامل : 1993، ص196)**

و يرى كمال مرسي (1990)أن حرمان الطفل من احد والديه و إقامته مع الطرف الأخر يعرضه غالبا لرعاية الناقصة حيث يصعب على احد الوالدين في غياب الطرف الأخر توفير الرعاية الطفيلية بتحقيق النمو النفسي للطفل و توفير الأمن و الطمأنينة و الاستقرار له لأنه ببساطة لا يشعر بهذا الأمان و الاستقرار في حياته الاجتماعية .

(نبوية لطفي محمد عبد الله ، 2000 ، ص 105)

و قد أشار شامسي (shansie) إلى قضية اخطر من ذلك حيث وجد زيادة بعض الاضطرابات الانفعالية مثل الانسحابية و الانتحارية و السلوك المضاد للمجتمع و العنف.

8-الآثار المترتبة على الحرمان من الأم :

8-1- الآثار القريبة المدى :

استجابة عدوانية تجاه الأم عند عودة الاتصال بها ، و قد تتخذ أحيانا صورة رفض التعرف عليها .

1. الإلحاح المتزايد في طلب الأم أو بديلتها يرتبط برغبة شديدة في التملك.
2. تعلق مرح و لكنه سطحي بأي شخص بلغ في محيط الأسرة .
3. انسحاب بلا مبالاة من جميع الروابط الانفعالية .

(عزيز سمارة و آخرون : 1993، ص84).

8-2- الآثار بعيدة المدى :

تشير الدراسات إلى وجود آثار بعيدة المدى يمكن أن تصبح أحيانا نكبات على الأطفال الذين يمرون بخبرات مؤلمة نتيجة الحرمان الشديد من الأم و تتلخص هذه الخبرات فيما يلي:

1. عدم وجود أي فرصة لتكوين ارتباط مع صورة الأم أثناء السنوات الثلاثة الأولى .
2. حرمان الطفل من أمه لمدة ثلاثة أشهر على الأقل و قد تمتد أكثر من أثناء السنوات الثلاثة او الأربع الأولى من العمر.
3. الانتقال بين صورة و أخرى للام أثناء و نفس الفترة.

(عزيز سمارة و آخرون : 1993، ص85)

أن اضطراب السلوك Condict Drsoders اضطراب الشخصية و تدهور الجوانب اللغوية و المعرفية و النمو الجسمي وجدت جميعها في أطفال عانوا بشكل أو أخر من اضطرابات خطيرة في حياتهم الأسرية المبكرة و هذه الاضطرابات يتم الجمع بينهما بشكل غير محدد تحت مصطلح " الحرمان من الأم "

(نبوية لطفي محمد عبد الله ، 2000 ، ص 115)

و ترى الباحثة أن من أهم الآثار البيئية و الضارة الناجمة عن الحرمان من الأم على الطفل سواء كان هذا الحرمان جزئيا أو كليا تتمثل في الأتي :

1. انخفاض مستوى النمو الجسمي و العقلي و الذهني و اللغوي.
2. اضطرابات في الشخصية .
3. اضطرابات النمو النفسي المختلفة .
4. عدم القدرة على تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين .
5. ظهور العديد من المشكلات مثل القلق و الاكتئاب.

6. التأخر الدراسي .

7. وقد تصل الآثار الضارة الناجمة عن حرمان الطفل من أمه إلى درجة الوفاة

9- العوامل المؤثرة في الحرمان من الأم و استجابة الطفل بها :

تعددت و تنوعت العوامل المؤثرة في الحرمان من الأم و هي عوامل متشابكة و التي من نشأتها أن تزيد الطفل أو تقلل من حدة الآثار الضارة الناجمة عن الحرمان و هذه العوامل على النحو التالي :

9-1- عمر الطفل وقت حدوث الحرمان من الأم :

أن آثار الحرمان من الأم و خطورته تختلف باختلاف عمر الطفل وقت حدوث هذا الحرمان إذ بينما يكون الحرمان اشد خطورة و أذى وقع في السنتين الثانية و الثالثة من حياة الطفل بحكم اعتماده على أمه في هذه الفترة حيث انه لو حدث في العام الأول و قامت على رعايته أم بديلة حيث لم يرتبط بهذه الأم و ارتبط بهذا الارتباط النفسي الذي يشكل حياته في المراحل التالية (**سهير كامل أحمد : 1998 ، ص 15**)

9-2- جنس الطفل:

أن الفروق بين الجنسين في ردود الفعل لفقدان الأم قد أوضحت بعض الدراسات أن الطفل الذكر تشتد ردود أفعاله الأكثر من الطفلة الأنثى لفقدان الأم خاصة إذا كان فقدان الأم راجعا إلى خلافات أسرية .

و في دراسة طويلة لأطفال فقدوا أمهاتهم تبين أن استجابة الأطفال لفقدان الأم تختلف من طفل إلى أخر و لكن أوضحت الدراسة انه حتى بالنسبة للأطفال الذين لم يستجيبوا لاستجابات مرضية في مرحلة الطفولة فأنهم يكونون عرضة لهذه الاضطرابات في مرحلة الرشد (**غريب عبد الفتاح : 1999، ص 186**)

9-3- نوع العلاقة بين الأم و الطفل :

ليست العلاقة بين الأم و الطفل شيئا ثابتا و متعارفا عليه تمام و لذلك فان الحرمان من الأم قد لا يعني نفس الشيء بالنسبة لكل الأطفال شديد الاعتماد على الأم لا يستجيب للحرمان منها نفس الطريقة التي يستجيب لها الطفل الذي تعود على تأجيل إشباع حاجاته بواسطة الأم و المتوقع بصفة عامة أن حدث فقدان الأم على الطفل الذي كان على علاقة جيدة بها يكون اشد وطأة و منه على الطفل الذي اعتاد أن يحصل على حد الأدنى من إشباع العاطفي وحب و في حالة الحرمان من الأم في السن الصغير يكون الأطفال الذين كونوا علاقة حميمة و سعيدة للغاية بأمهاتهم الذين يقاسمون أكثر من الانفصال في حين أن العكس يحدث بالنسبة للأطفال الأكبر سنا حيث نجد انه كلما كانت علاقة الأطفال في هذه السن بأمهاتهم حسنة كلما استطاعوا تحمل الحرمان .**(إيمان فوزي : 1965، ص12).**

10- الوقاية من حرمان الأم :

1-عند فقدان الأم بسبب الموت أو المرض أو الطلاق فانه يجب رعاية الطفل من قبل أم بديلة قادرة على أن تقدم له كل الرعاية و الاهتمام و الحب .

2-عدم تكرار ما عاناه الوالدان من حرمان في طفولتهم مع أبناءهم بل يجب عليهم منح الأطفال الرعاية و الحب و الاهتمام حتى لا تبدأ المأساة من جديد .

3-ضرورة تفاعل الأسرة مع الأقارب حتى يتمكن الأطفال من الحصول على العطف من أقاربهم إذا عجزت الأسرة عن قديم هذا العطف فيبعض الأحيان.

4-إشعار الطفل بأنه مقبول و مرغوب فيه من قبل الوالدين وخاصة الأم و ترجمة هذا القبول إلى أفعال.

5-يجب على المجتمع تقديم الرعاية الكافية للأطفال المحرومين من الأم .

(عزيز سمارة : 1993، ص 86).

خلاصة :

تعد مرحلة الطفولة ذات أهمية خاصة في نمو الفرد و تكوين شخصيته سواء من حيث قدرته على تحقيق الاستقرار و التوافق و الاستمتاع بالحياة و الأسرة التي ينشأ فيها الطفل هي التي تشبع كل حاجاته الأساسية و خاصة اتجاهات النفسية كالحب و الحنان و فئة الأطفال الأيتام تعاني هذا النقص لذا فيجب العناية بالأيتام خاصة و أن الإسلام أوصى برعاية اليتيم و تكفل به و له مرتبة في الجنة .